فمنها اقوال ومنها افعال ومنها سمات ومنها صفات فمن الاول
تصانيفهم المشتملة على حل عضال المدلهمات وايضاح مبهمات المسائل
المهمات وعلى دفع الحجب عن خبايا مكنونات في معقول ومنقول من فروع
واصول وعلى اشارة ما تعارض او تناقض للكيفية في توقيعه وجمعه
او اطراحه وقمعه وبيان المدخل والمخرج في كيفية الاستدلال على نهج ما
يقتضيه الاستنباط وتنقيح المناط من القواعد الاصولية التي مدركها
الاخبار والعقلية الصرفية التي مدركها استقلال العقل بعد عرض الكل
على كتاب الله عز وجل فما يوافق ياخذ به وما لا يوافق لا ياخذ به وتنبيه
على ما لا ينبغي ان يغفل عنه ويتبرى الكثير من القواعد منه ولا سيما اذا
لم يكن مذكورا في كتاب ولا نبه عليه بعض الاصحاب وتذكر بيناتهم التي
تناقلها الالسن تلامذتهم بايدي اقلامهم الى مصنفاتهم او الى من
اخذ عنهم وقرا عليهم وهكذا ومن الثاني اعمالهم البادية على طبق ما
وظف الشارع عليه الصلوة والسلام ووقته وفوق ما وصف ونعت
ليلا ونهارا اخفاتا او اجهارا وابقافهم الاسماع على العلم النافع
والمطلوب الجامع لملبس الاقتصاد ومشي التواضع وغض الابصار
عما حرم الله ثم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم
وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله في فكاك رقابهم اما الليل فصافون
الاقدام واما النهار فعلماء حلماء حكام ومن الثالث ان الرائي المتوسم يرى
كلا بعلامات متسم كقوة في دين وحزم في لين وكايمان في يقين وحرص
في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وخشوع في عبادة وصبر في شدة و
تحرج في طمع فيرى الحاجة منهم خفيفة والنفس منهم عفيفة ومن علاماتهم
ايضا انه يرى قريبا املهم قليلا زللهم خاشعا قلبهم منزورا اكلهم سهلا
امرهم حريزا دينهم مكظوما غيظهم الى غير ذلك مما يشهد الرائي من العلامات
التي تستنبط من مجرد احوالهم وان لم يكن الاطلاع عليها دفعة بل على تعاقب
الاوقات ومرور الاحوال المقتضية لهذه السمات ومن الرابع كونهم ابدانهم
في الغالب نحيفة وقلوبهم من الله تعالى دائما تضطرب خيفة لان ذلك الخوف يرى

ابدانهم

ابدانهم يرى القداح فيحسبهم الناظر مرضى وما بالقوم من مرض ويقول
قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم الى غير ذلك مما هو مذكور ومعلوم
مشهور من صفات المتقين والعلماء الناسكين ولا حاجة الى استقصائها
لفوات الغرض فكل طالب للحيوة في النشاتين وليس له غير التقوى قرة عين
لا بد له من ان ينسخ اسناخ ما قالوا ويثبت اجناس ما فعلوا ويطلع ما به
اتصفوا ويتسموا النهج على تلك الاثار ويسير على اثر اولئك الابرار ولا سيما
اذا كان رجلا فليرقب مقامه وراقب علامه واغتنم يومه والتزم لومه
وخرج عن نفسه وميز يومه عن امسه وتخلق باخلاق امامه ولم ينقطع
عن صحبته ولو في بعض ايامه ويتابع في الاركان لئلا تفوته فضيلة
ولم يكن حظه الحرمان ويقتبس افعاله بافعالهم وصفته بصفتهم فيلزم
ليصيبه الراحة ولا يندم فانه يكون شديد الملاحظة الى ذلك وكثير المحافظة
عليها هنالك ولذا جرت عادة الماضين من العلماء المحققين والفضلاء
المتبحرين على تحرير التراجم لاحوالهم واقوالهم وافعالهم وصفاتهم وسماتهم
واسمائهم واسماء ابائهم ليحسن لهم السير في فجاج ما من السبيل سنوا
وليتم لهم النقل فيما يريدون ان ينقلوه اذا اسندوا بل ويذكرون فيها
الذين قروا عليهم واستجازوا منهم وركنوا اليهم ليكون ذلك على نهج
طريقة الرجال ليستنبط منه قوي النقي وضعيف الحال ولذا ترى تراجم
السلف اكثر من ان تحصى ولما لم اجد في هذا العصر لمن جمعوا بين درجتي
العلم والعمل قط مترجما احببت ان اكون الخائض في لجج بحر تاخر الى هذا
العصر ومفتتحا فاترجم حضرة المولى ابا الثناء وشهاب الملة البيضاء
داوري في اوصافه القبس للقابس واثير بذكر فضيلته العظمى العلم
للجالس على ما هو عليه من الرتبة البعيدة المرام النازحة الاعلام التي
تقصر عنها الانوف ويحاذي بها العيوق من حيث ان ترجمة العلماء
توصل الرجل الى الاطلاع على سيرهم وتوثق قلب المطلع ولو على البعض
مما به اتصفوا اذ ينهج على اثرهم وهل ذلك الا رقعة لا يتعقبها صنعه
لان تلك التاثر في القلب المسبب للمتابعة في الاحوال هو المنجي غدا ان

Copyright © King Saud University